

٤١

أطفالنا
في رحاب
القرآن الكريم

آيات وقصة

أ. رزق هيبة



أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
(٤١)

قوة الصَّابرين

تأليف
رزق هيبه

رسوم
صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤، ٢٧٥٢٧٣٥، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا
مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا
يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن
مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾ [الأنفال].

معاني الكلمات:

٦٤- حَسْبُكَ الله: يكفيكَ أنَّ الله معَكَ، فهوَ وحْدَهُ قادرٌ على أنْ ينصرَكَ على أعدائِكَ.

٦٥- حَرِّضِ المؤْمنينَ: التحريضُ هو المبالَغَةُ والتَّشْديدُ في الحثِّ على فِعلِ أمرٍ من الأمور.

- قَوْمٌ لا يفقهُونَ: الكفارُ قومٌ جهَلَةٌ، يُقاتلونَ من أجلِ زُخْرِف الحياةِ الدُّنيا، لا يطلُبونَ ثوابَ الله، ولا يُدافعونَ عنْ حَقٍّ مشْروع.

٦٦- عَلِمَ أن فيكم ضَعْفًا: اللـه يعلَمُ أنَّ أجْسَادَكُم ضعيفةٌ لا تتحمَّلُ مشقَّاتِ الجهاد، وقد يكونُ بعضكُم ضعيفاً في أمُورِ الدينِ لقربِ عَهْدِه بالجاهلِيةِ.

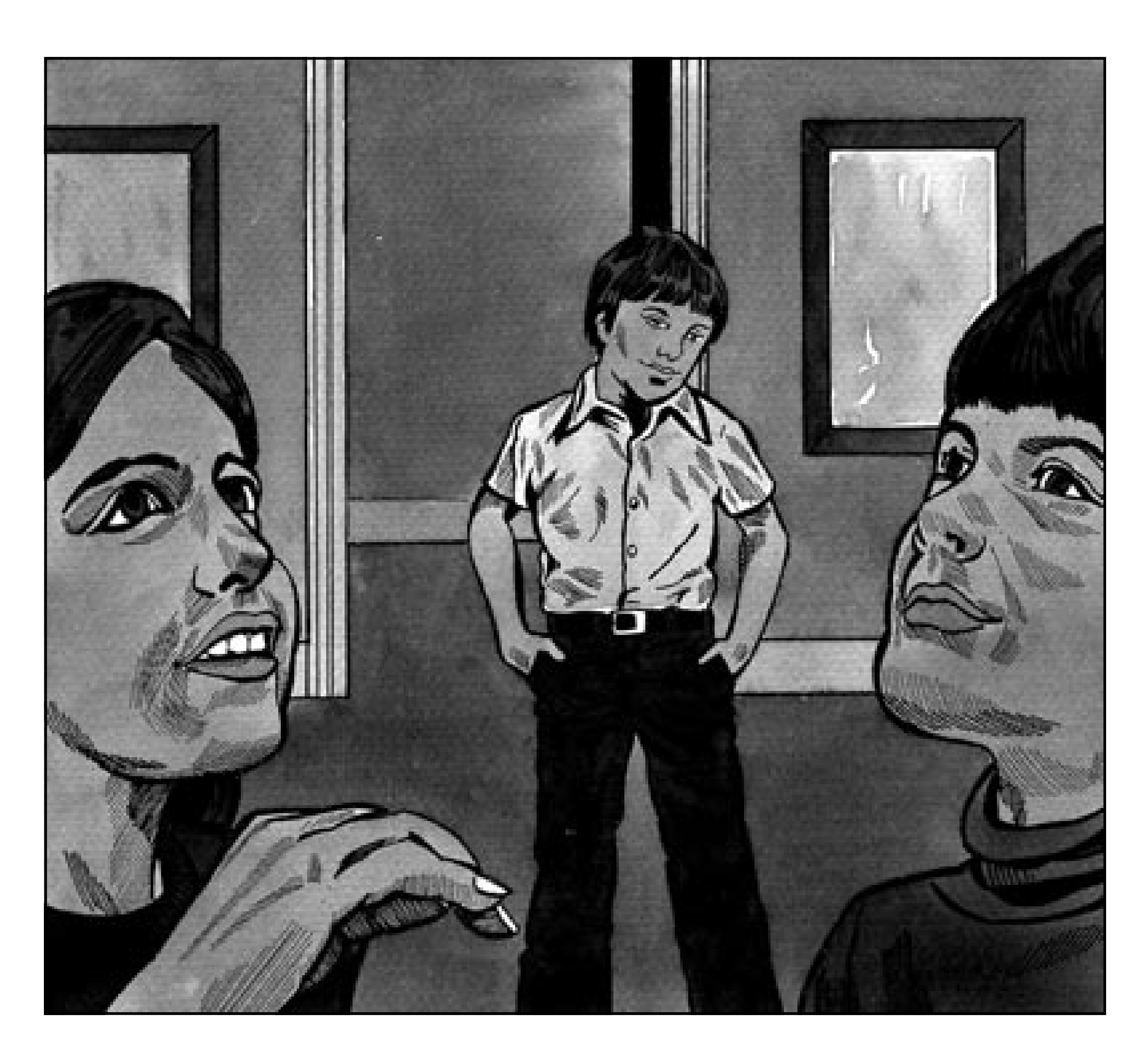
التفَّ الأولادُ حولَ أبيهِمْ كما هِيَ عادَتُهُمْ كلَّ مساء.

ثم نظَرَ الأبُ إلى أوْلاده بحبٍّ وامتنَانٍ، وقدَّمتْ إيمانُ أكوابَ اللَّيْمُونِ لتخفِّف شيئاً منْ حَرارةِ الجوِّ الَّتي ارتفعتْ فَجْأةً.



التفتَتْ إلى أخويْهَا وسألتْهُمَا: ألمْ تصلِّيا الجمعَةَ اليومَ مع أبيكمُا؟

وَأجَابَها أيمـنُ في دَهْشَةَ: بَلَى، وهلْ هذا سؤالُ يا إيمَانُ؟ هلْ تظنِّينَ أنَّنا مـقصرِّونَ في أمورِ ديننَا، أو مُهمِلُونَ لما فَـرضَهُ الله عَلَيْنَا ، وخَاصَّةً صلاةَ الجمعـةِ التي فرضَهَا الله على المسْلمينَ وحرَّمَ عـليهمُ البيَعْ والشـراءَ والانشغالَ بالدُّنْيـا في وقتِ أدائِهَا ، منذُ أنْ ينادِيَ المؤذنُ للصـلاةِ إلى أنْ يقضِـيَهَا المسْلمـونَ ويخرُجُـوا من المسْجِـدَ، فينتَـشروا في الأرْضِ يَبتغُونَ من فضْلِ الله، ويذكُرون الله كثيراً في كلِّ شئُونِهِمْ.



قَــــالتْ إيمَـانُ: إنَّ اللـه الحكـيمَ يريدُ لـلمـــسلِـمينَ أن يكُونَ بَعْـضُهُم لبعضٍ عـونًا في شُئون الحياةِ، فجعلَ الصَّلاةَ يومَ الجمـعَةِ مـؤتمرا يلْتقِي فـيه أهلُ الحيِّ، ليـعرفَ بعـضُـهم أخبـارَ بعضٍ، ويعَاونَ بعـضُهْم بعْـضًا فيما يحْتاجُونَ إليْهِ من مطالبَ ، وقـدْ يكـونُ البـعضُ مــريضًـا فيـذهَبُون لزيارَته ليـخفِّـفُوا عنْ آلامَ المرضِ، ويَشْــعـرُوهُ بأنَّهمْ إخـوَتُه لا ينسُــونَهُ في السَّـراءِ والضَّرَّاءِ.



وتدَخَّلَ أشرفُ في الحديث فقالَ: طبْعًا هيَ حكمةٌ عظيمةٌ، ولله حكمةٌ في كلِّ ما يأمرُ به عـبادَهُ، ولا نَنْسَى أيضًـا أنَّ صَلاةَ الجـمعَـةِ فُرصةٌ لكي نـستَمعَ إلى الخُطْـبةِ التي جـعَلَها الله فـريضةً في هذا اليـومِ أيضـاً، يُلقيـها واعظُ المسـجد، فـتعـيدُ إلى النفُـوسِ صفاءَها، وإلى القُلوبِ اطْمئْنَانَهَا وإلى الضَّمائرِ هُدوءَهَا ، فقدْ يقضي الإنسانُ الأسْبوعَ كلَّهُ في شُـغلٍ لا تسنَحُ له فـرصةٌ لسـمـاعِ مَوعظَة أوْ حـديث يجلُو عن القلب صـدأَهُ، ويعيدُ الشَّاردَ إلى الطَّريقِ القَويم. وإنَّ القُلوبَ لتصْـدأُ كَمَا يصْدأُ الحديدُ، يَجْلُوهَا ذكْرُ الله، والاسْتـماعُ إلى المواعظ ، ولذلك أثْنَى الله عَلَى الَّذينَ يَسْـتَمعُونَ القَـوْلَ فيتَّبـعُونَ أحْسَنَهُ، وبشَّرهُمْ بخـيرِ الدُّنْيَا والآخرَة، ووَصَـفَهُمْ بأنَّهُمُ الذينَ هَدَاهُمُ الله، وأنَّهُمْ أُولو الألْبَابِ.

وَاسْتطْرَدَ أشْرَفُ قَـائلاً: ولقَد منَّ الله علينَا بشيخٍ فاضلٍ، يُعلِّمُنَا الكثـيرَ من أمورِ الدِّينِ وآدَابه وأخـلاقـه، يسحـرُنَا بأسلوبهِ السَّـهلِ ومـعَانـيه الواضـحـة، بهدوءٍ ووقَـارُ وحكْمة، فيهتَدى بهَا الضَّالُّ ، ويزيدُ المهْـتَدي هدى ، باركَ الله لنَا فيه وفي علْمه، وأكثَر من أمْثَـاله، فهؤلاء العلمـاءُ هُمْ وَرَثَةُ الأنْبياءِ حـقًا، الَّذينَ لم يرثُوا مالاً ولا عـقَاراً، ولا يهْـتَمُّـون بشيءٍ من زَخارف الحـياة الدُّنيـاَ، وإنَّمَا وَرثُـوا العلْمَ والحكْمَة والله سـبحـانَهُ وتعالَى يقُولُ: ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ... (٢٦٩) ﴾ . [البقرة].

قَالتْ إيمَانُ : لقدْ شـوَّقْتَني يا أشْرفُ بكلامِكَ هَذَا أنْ أعرِفَ مَاذَا قَـالَ الشَّيخُ في خُطْبَةِ الجمعَةِ اليَومَ.

وبَدا على مـلامحِ أيْمَنَ أنَّهُ يريدُ أنْ يقـولَ لأختـه مَـاذا قَالَ الخطيـبُ اليومَ، ونظرَ إليـه والدُهُ، يشجِّعُهُ على الحديث، وهُوَ يبْتَسمُ قائلاً: إنَّكْم لنْ تكُونُوا في حاجَةٍ إلى حَديثي اللَّيلَةَ، وستَكْتَفُونَ بمَا قَالهُ الشَّيخْ في المسجدِ.

وبادرَ أيمن كأنَّمَا يعتـذرُ لأبيه، وهُوَ يقُولُ: عَفْوًا يا أبي، أسْتَغْـفرُ الله، إنِّي أريدُ أن أُعيدَ ما سمـعْتُهُ من الشَّيخِ لأتـذَكَّرَهُ أنَا أيضًا، ولتَسْـتَقرَّ في خَاطري حـتَّى لا أنْسَاهُ، ولكنَّنَا لن ننَامَ قبَل أن نسْمَعَ منكَ الحديثَ الشَّائقَ الَّذي عوَّدْتَنا عَلَيْه في رِحَابِ القُرآنِ الكَرِيم.

قَالَ الأبُ وقدْ ملأتْ أسـاريرَ وجْهه عَلاماتُ السَّعادَة بأوْلاده، قُـرَّة عَيْنه، وزينَة حيَاته: بارك الله فيكُمْ، وجعَلكمْ أسْرَةً صَالحِةً، وذُرِّيَّةً طيِّـبَةً... وهَيَّا يا أيمنُ أسْمِعْنَا مَاذَا فَهِمْتَ اليومَ من خُطبةِ الجمُعَة.



قَالَ أيمنُ: لقـدْ حدَّثنَا الشَّيخُ اليَوْمَ عن فَـضيلَةِ (الصَّبْرِ) وَجَـزاءِ الصَّابرينَ، ذَلكَ الجزاءُ الَّذي لا يعْلَمُ قـدرَهُ إلا الله ربُّ العَالَمين، الَّذي يَقُـولُ في كِتَـابِهِ العزيز: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

قَالَتْ إيمَانُ: الصَّـبْرُ! وَهَلْ تحـتَاجُ هذِهِ الكلمةُ إلى خطـبةٍ في المسجـدِ، وشرحٍ طويل منَ الوعَّـاظ والشُّيـوخِ، ونحنُ نقـولُهَا ليـلاً ونهاراً، حَـتَّى أنِّي أظنُّ أنَّ الجمـيعَ يعرفُونَ معنَاهَا ،وربَّما يسْخَرونَ ممَّنْ يريدُ تفسيرَهَا لهُمْ.

قَالَ أيمنُ: هَذَا هـوَ الخطأ الكبيرُ الَّـذي يقَعُ فيهِ بعضُ النَّـاسِ ، فيفـهمُـونَ معنَى الصَّبْرِ كَمَا فهمته أنتِ، فهوَ في نَظَرهمْ لا يزيدُ عن السُّكونِ والانتظَارِ حتَّى يحدُثَ ما يحدُث، تذهَبُ إلى بعضِ المصَالحِ فتـجدُ الموظفَ قد كتَبَ لافتةً كبيـرة وضَعَها خلف ظهرِهِ لتكُونَ في مَواجَهتكَ وأنت تكلِّمُـه، تقولُ لَكَ (الصَّبر) وكأنَّهُ يريدُ أنْ يقولَ لمنْ جَاءَهُ لقضَاء مصْلَحةٍ، انتظرني، ولا تُطالِبْني بشيءٍ الآن حتَّى أنتهى ممَّا أعْملُ ، وقدْ يكونُ ما يعملُهُ لا عَلاقَة لهُ بشئُونِ وظيـفتهِ، فيعطِّلُ مـصلحةَ النَّاسِ، وينالُ غَضَب الله، لأنَّه يتقـاضَى أُجْرًا عَنْ عملِه، ولكَي يكونَ أجـرُهُ حـلالاً يَنْبـغي أن يُعطي الوظيـفـةَ حـقَّهـا، ولا يكونُ الصَّـبُـر سـبباً عندَهُ لإهمـالِ مَصالحِ النَّاس.


الصَّبْرُ
مفتاح الفرج

قالَ أشْـرف: هَذَه بعضُ المعَانِي الخطأ التي نفَهـمُهَا بالنِّسْـبة للصَّبْـرِ، وهناكَ معنى آخر هُو معنى صـحيحٌ، ولكنَّنَا لا نكادُ نعرفُ غيـرَهُ وَهُوَ الثَّبَاتُ في مُوَاجَـهَةِ الشَّدَائد، حتَّى أصبْـحتْ كلمةُ الصَّبرِ لا يُوصي بـهَا إنسَانٌ أخَاهُ إلا إذا وقعت لَهُ مُـصيبةٌ وَوقـتَها فقطْ يذكرُ قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة].

قَالتْ إيمَانُ: أقُولُ لكمُ الحقَّ، هَذَا مَا أفـهَمُهُ مِنْ كلمَةِ الصَّبرِ، فَمَا الَّذي فـهمتُمُوهُ أنْتُمْ؟ علِّمُوني أثَابَكُمُ الله.

قَالَ أيمَنُ: إنَّ الصَّبَر صفَةٌ من صِفَـات المؤمنِ تُلازمُه في كلِّ لحظةٍ من حَياته، فهو زينةُ الإنسـانِ، وهو الطَّريقُ الـقويمُ الَّـذي يصِلُ بِهِ إلى كُلِّ عَـملٍ صَـالحٍ، وهوَ أفْـضَلُ أخلاق المسلْمِ، ذكرَهُ الله تعالَى في القرآنِ الكريمِ أكثَر مْن تسْعين مرَّةً، وجعلَ للصَّابرينَ الثَّوابَ الجـزيلَ، وضاعفَ لـهمُ الحَسنَاتِ، وانظُروا إلى مَـعْنى هذهِ الآيةِ الكريمةِ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ [الزمر]، يعنِي يُعطيهمُ الله من الأجْرِ العظيمِ، والشَّرفِ الـكبيرِ في الـدُّنيَا والآخِرة، مـا لا يعْلَمُهُ ولا يُـوَفيهِ حقَّ الوفَـاءِ إلا الله، ولأنَ الصبرَ أفضلُ أخلاقِ المسْلمِ قَالَ عَنْهُ النَّبيُّ الكريمُ ﷺ: «الصَّبْرُ نصفُ الإيمَانِ».

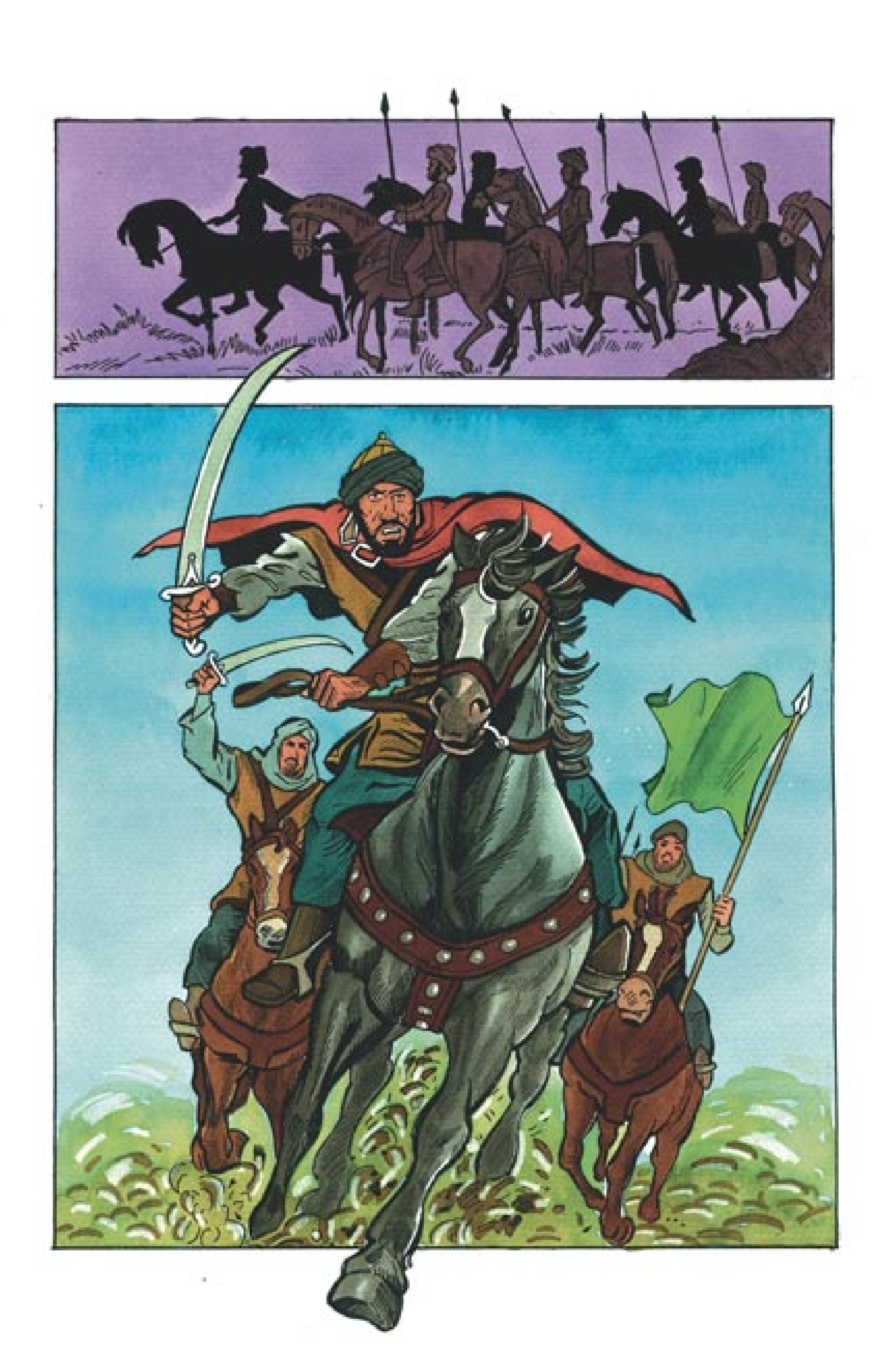
وتوقَّفَ أيمنُ عن الكَلامِ، وهوَ ينظُرُ إلى والدِه نظرةً فهمَ منْهَـا الجميعُ أنَّهُ قد أنْهىَ ما فَـهِمَـهُ عنِ (الصَّبر) وكـأنَّهُ يطلبُ من وَالدِه أن يبـدأ حديثَهُ الليلـى الذي عوَّدهمْ ألا ينامُوا حتَّى يَسْمَعُوهُ.

قَالَ الأبُ : إن حـديثي معكمُ الليْلةَ لن يخرجَ عنْ تلكَ المعـانِي التي سمعَـهَا أيمنُ من الشَّيخ وأعادَها عليْكمُ الآنَ، فلا يزالُ معنَا بقيةٌ من الحديث عن غَزْوةِ بدرٍ.

لقدْ ذكرَ القرآنُ، الكريمُ عددًا من الشَّخصيَّاتِ الصَّابرة، الَّذين كان الصبرُ يعطيهُمْ قُوةً تعينُهمْ علَى شدائدِ الحيَاةِ حتَّى أصبَحُوا أمْثلَةً رائعةً في التَّحلِّي بالصبْرِ بكُلِّ معانيه.

فهـذا أيوبُ عليه السَّلامُ، وهُوَ أشـهرُ الأسْمـاء التي يُضربُ بها المثلُ في الصَّـبر، فيقـالُ «صَبْرُ أيوبَ». لقدْ صبـرَ على مَا أصابَهُ من ضُرٍّ في بَدنِه، وصبـر على فقْدِ أهْله، وكانَ عاقبةُ صبرِه الخيرَ.

وَأولُو العَزْمِ من الرُّسلِ: نوح وإبراهِيمُ وموسَى وعيـسَى عليهمُ السَّلامُ ، وخاتمُهُمْ محمدٌ ﷺ الَّذي يأمُره ربُّه أن يقْتدي بهمْ في الصَّـبرِ على الدَّعوةِ والجهادِ في سبيلِ الله، فيقولُ لهُ سبْحانَه وتَعَالَى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ... (٣٥) ﴾ [الأحقاف]. ولقدْ صـبرَ رسُـولُ الله ﷺ، وجاهَدَ في سـبيلِ الله، إذْ مكَثَ في مكَّة ثلاثةَ عـشر عـامًا يدْعُو إلى الله، فلمَّا لمْ يجدْ الآذانَ الصَّاغيةَ، والقُلوبَ الوَاعيةَ، هَاجرَ إلى المدينةِ المنَوَّرة، وبعـدَ الهـجرةِ بعـامٍ، كـانَ ذَلكَ اللقـاءُ بينَهُ وبينَ الْمشـركينَ في غَـزوةِ بدرٍ الَّتي نواصِلُ الحديثَ عنْهـا الآنَ فنذكُر تلك الآياتِ الَّتي أنزلَهـا الله سبْحـانَهُ وتعالى قائلاً لنبـيه ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾ [الأنفال].





وكَانَتْ هَذِه الآيَاتُ تَوْجِيهاً للمسْلمِينَ وتَنبيهًا لهمْ بأنَّ السِّلاحَ لَيسَ هُو كُلُّ شَيءٍ في مَيْدانِ القتَالِ، ولا يكونُ السِّلاحُ وَحْدَه سببًا في تحقيقِ النَّصر، كما أنَّ عددَ الجنُودِ مَهْمَا كَثَر ليسَ هوُ الميزانُ الَّذي يرفَعُ قدرَ الجيشِ، وإنّما الَّذي يَجعَلُ للسِّلاحِ أثرهُ في أيَّةِ معركَةٍ هوُ الإيمانُ الَّذي يستقِرُّ في قُلوب الجنودِ، والصَّبرُ الَّذي يتحلَّوْن بهِ ويُقابلُونَ الأعْدَاءَ.

وسألَ الأبُ: ألا تذكُرونَ شَيْئًا عن غَزْوَةِ بَدْرٍ؟

قالَ أيمنُ: كيفَ لا نذكُر شيئًا عنْهَا ونحنُ مازلْنا نُواصِلَ حَديثَها، لقدْ كانَ عددُ المسْلمينَ فيها (٣٠٠) ثلاثمائة سلاحُهُمْ قليلٌ، وليسَ معَهُمْ الخيولُ والجمالُ والسيوفُ والدُّرُوعُ والرِّماحُ، وقاتَلَ الجيْشُ الصَّغيرُ، وانتصَرَ بصَبْرِهِ وإيمانهِ على الجيشِ الكبيرِ.

قَالَ الأبُ: نعَم، لقدْ جعَلَ الله هذاَ الجيشَ القليلَ حصْنًا يصُدُّ جَيْشَ المشْركِينَ، وكانُوا جُنودًا لنُصرةِ النَّبِيِّ، يدْفعون الباغِينَ عليْه، المنكرينَ لدَعْوته، وإنَّه ليكفي النبيَّ كفايةً مُطلقةً أن يكونَ الله سبْحانَهُ وتَعالَى حَسْبُهُ، يكْفِيه شَرَّ الأعْدَاءِ، ويضْمَنُ لَهُ الحماية الَّتي لا تَغْفَلُ أبدًا، والقُوَّةَ الَّتي لا تَقِفُ أمَامَهَا قَوَّةٌ.

قَالَ أشْرفُ: ألَيْسَ عجيبًا كلَّ العجبِ أنْ يقفَ ثلاثُمائةِ إنسَانٍ في مُواجهةِ ألفٍ معَهم كلُّ ألوانِ الأسْلَحةِ، ورغمَ ذَلكَ يكوُن النَّصرُ حليفًا لهذِه المجموعَةِ القليلةِ العدَدِ والسِّلاحِ.

قَالَ الأبُ: لا تَعـجبْ يا أشْرف، ولا تأخُـذْكَ الدَّهْشَةُ، فـالآياتُ الَّتي تَلَوْنَاهَا الآنَ تُشيـرُ إلى ما هُوَ أعْجَبُ من هَذَا، لقدْ كـانَ النَّبيُّ ﷺ خَائفاً على أصْـحَابِه، إذْ جَاءُوا إلى بـدرِ في ذلكَ العددِ القليلِ، ولم يكُونُوا عـلى اسْتِعْـدادٍ كاملٍ للـحربِ والقتـالِ، وفُوجِـئوا بذلكَ العـددِ الكبيرِ من جُـنودِ المشركينَ وأسْلِحـتهمْ، ودَارَ في خَاطرِ النَّبـيِّ ﷺ سُؤالٌ: مَاذا يَحْـدُثُ إذا انتصر المشْـركُون؟ وراءَـهُ ذلكَ السؤالُ ، فلجأ إلى الله سبحانَهُ يَدْعُوه ويتضرَّعُ إليْهِ قائلاً:

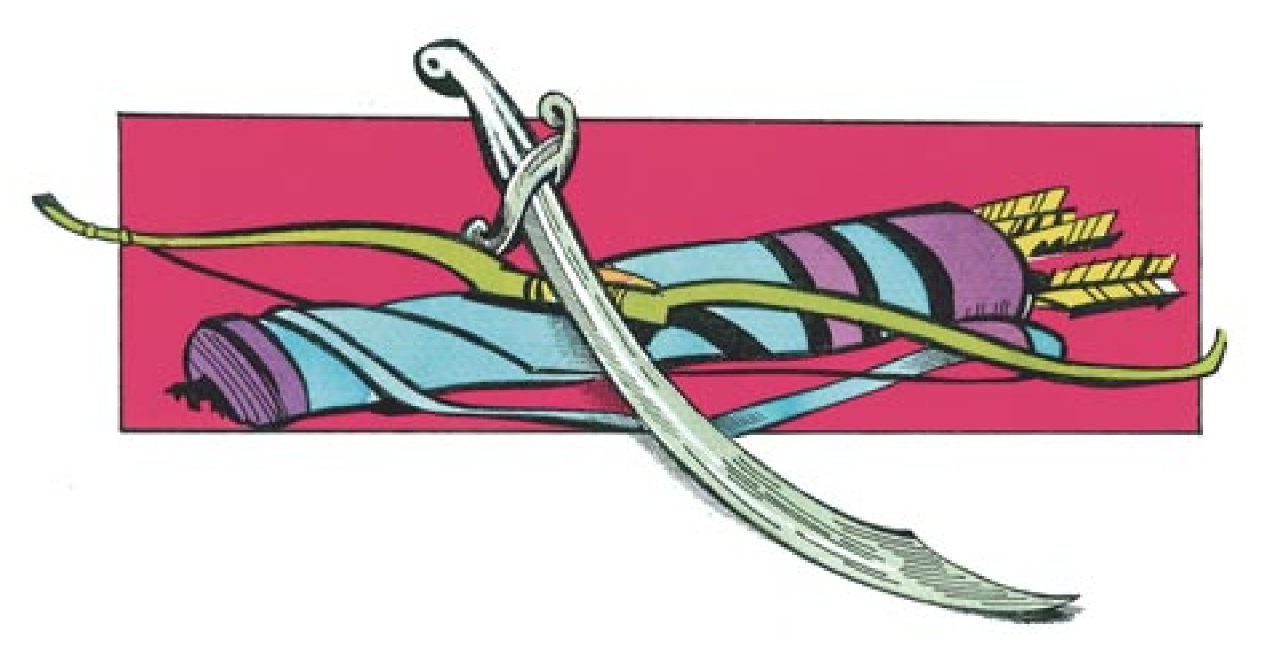
«اللَّهُمَّ هذهِ قـريشٌ قد أتَتْ بخُيـلائِهَا وفـخرِهَا، تُحَادكَ، وتُـكذِّبُ رسُولَكَ، اللَّهُمَّ فنصـرَكَ الَّذي وعدْتَنِي ، اللَّهمَّ إن تَهلكْ هذهِ العـصابَة فلنْ تُعـبدَ في الأرْضِ بعْـدَ اليوم»، وكـان أبُو بكرٍ رضي الله عنه يقفُ وراءَ النَّبيِّ يخـفِّفُ عَنْهُ ويُواسِيـهِ، ويقُولُ: يا نبيَّ الله بعضَ مناشدتَك ربَّك، فإنَّ الله مُنْجِزٌ لَكَ ما وعدَكَ مِنَ النَّصْرِ.

وَظلَّ النَّبيُّ ﷺ فيمَـا هُوَ فيهِ من ضَرَاعَةٍ إلى الله، واستغـاثَةٍ بربِّه، حَتَّى أخذَتْهُ سِنَةٌ من النَّومِ رَأى خِلالَهَا نَصرَ الله يتحقَّقُ فكانتَ البُشْرِى، ثم أنزلَ الله عليْه تلكَ الآياتِ ، فـخرجَ إلى أصْـحَابِهِ يُحـرضُهُم على القِـتَالِ ويقُـولُ لهمْ: «والَّذِي نفسُ مُحمدٍ بيدِهِ لا يُقاتِلُهُمُ الـيَومَ رَجُلٌ فيقْتَلُ صَابِراً مُحْتَسبًا مُـقْبلاً غَيَر مُدبرٍ إلا أدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ».





وكـانـتِ الآياتُ وتحريضُ رسـولِ الله ﷺ للمـؤْمنينَ سـببًـا في ازْديادِ قُـوَّتِهمْ ، فكانُوا يصيـحُونَ مُـهلِّلينَ: أحَدٌ.. أحَـدٌ، ويجولُون في الميْـدان، والنَّبيُّ ﷺ بينَ صُفُـوفِهم يحـرِّضُهُم ويحثُّهُم على الصبرِ والثَّباتِ كمَا أمَرهُمُ الله، وقَدْ شرَّفَهُم سُبـحانَهُ وتَعَالَى بأنْ جعلَ الواحدَ منهم يُسَاوِي عـشَـرةً من أعدائِهمْ ، لأنَّ الـكافرين لا يـفقـهُـون ، فهـمْ لا يؤْمنُون بالله، ولا يطلبُونَ ثوابَهُ، وقِـتَالُهمْ ليْسَ دِفـاعًا عن حَق مَشْـرُوعٍ أو حِمَايةً لعَـقيدَةٍ صـحيحـةٍ، فَهُم حِينَ يُقاتلُونَ يُخَـاطِرُون بحيَاتِهمْ التَّي يَحْـيَونَهَا في الدُّنيـا، ولا يخطُرُ ببالِهم أنَّ هُنَاك حيَـاةً أُخْرَى بَعْـدَ هَذه الحيَاة، هـيَ خَيْرٌ وأبْقَـى لِمَن اتَّقى ، ولذَلكَ كانُوا يَحْـرصُونَ على مـا في أيْديهِم من مَتَاعِ الدُّنْيَا، كمَـا كانُوا جُبَنَاء في مَوَاقفِ القتَالِ، تَنْحَلُّ عَزائمـهُمْ، وتزيغُ أبْصارهُمْ، ويفزَعُون كالأطْفَالِ لمجـرَّدِ أن يمرَّ الموتُ على فكرِهْم. أمَّا المؤمنُونَ فكانُوا يفقَـهُون ويفهَمُـون ويعرفُون لماذا يُقاتِلُون، إنَّهُم يُدافعُون عن حـقِّهم في الحياَةِ ، يُدافِعُونَ عن عقـيدَتهم الَّتي أخْرجَهُمُ الله بِهَا من الـظُّلُماتِ إلى النُّورِ، ولا يَعْـتَدونَ على أحَدٍ بهـذَا القِتَـالِ، ولوْ تركهم المشـركُون في حَالهم ولم يَعْتدُوا على أمْوالِهمُ الَّتي كانتْ لهمْ في مكَّة لعاشُوا في سَلامٍ، ولمْ تَحْدثْ حَرْبٌ إلى أن يَنْشُرَ الله نُورَ دينِه دُونَ أن يرفعَ أحدٌ سيفًا في وجْه الآخر.



وَلكنْ كـانَ لابُدَّ للمْسلمينَ أن يُدافـعُوا عن حـيَاتهمْ وأنْ يَثْـبُتُوا في هَـذَا الدِّفَاعِ، وكَانَ على الوَاحِدِ منْهُمْ أنْ ينْتَصِرَ الانتـصَارَ الَّذي يَكْتُبُ عِزَّ الإسْلامِ والمسْلمينَ، وَينالُ به الأجـرَ عندَ الله، أوْ يموتَ شهـيداً ، فَـيَنْتَقِلَ إلى دَارٍ خَـيرٍ من دَاره، حَـيثُ يَنْطلقُ في رِحَابِ الله، ينعمُ بمَا تَشْتَهِي الأنْفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ، فـي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَواتُ والأرضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقِينَ.

قَالَ أشْرف: لَقدْ سَبَقَ أنْ حدَّثْتَـنَا ياأبي عنْ قومٍ مِنْ بَنِي إسرائيلَ كانُوا في موْقفٍ مثلِ هذَا الموقِـفِ، إذ كانَ عَددهُمْ قليـلاً جدا، بجـانب عَددِ أعْدائهِم، ولكِنَّ الـله تعالَى نصرَهُمْ بالصبْرِ والإيمَانِ والثِّقَةِ بربِّهم عزَّ وجلَّ.



قَالَ الوالدُ: نَعم.. وَحَسَنٌ جدا أنْ نتـذَكَّرَ هَذه القصصَ السَّـابقَةَ يا أشـرَفُ، فتلْكَ هِي الثَّمرةُ الحقـيقيَّةُ لجلسَاتنَا هَذه، والثَّمـرةُ الأهَمُّ هِيَ أن نَتَّخذَ منها العظَةَ والعبْرةَ، فنسـيرَ بهديهَا ونُورهَا، ونَعْلَمَ أنَّ الله لا يتخلَّى عن عباده الصَّابرين مَهما كانَ ضَعْفُهُمْ، ومَهمَا كانَتْ قلتُهمْ، وهيَ قاعـدةٌ ثابتة في كُلِّ زَمَان، ولَقـدْ مرَّ بنَا في القـصَّة التَّاسـعَة- قصَّـة طالوتَ وجَالوتَ- كَيْفَ انتـصرت الفئَةُ القَليلةُ، التي هي جَـيْشُ طالُوتَ، ولَمْ يكنْ عددُ المؤمنينَ فيـها يَزيدُ على ثلاثمَائةٍ وخمسينَ جنديا ، أمَامَ جيشٍ بَاغٍ هُوَ جَيْشُ العماليق الَّذي يزيدُ عَددُهُ عَلى ٣٠٠ألف فارسٍ.. رآهمْ جَيْشُ طالوتَ فـفزَعُوا وقالُوا: لا طاقةَ لَنَا اليـومَ بجالوتَ وجُنوده .. ياطالوتُ إنَّ عددَنَا قليـلٌ وعددَ العمـاليقِ كثـيرٌ، وليسَ مـعَنَا قائدٌ، والعـماليقُ أقـوياءُ ونحنُ ضعـفاءُ، وجالوتُ قائدُ العمـاليقِ ماهرٌ في الحروبِ والمبارَزَة، وليسَ في جيشِنَا أحَـدٌ يستَطيعُ أن يُبَارز جَالُوتَ...



ولكنَّ المؤمنينَ الصـابرينَ الَّذين يفـضِّلُونُ أنْ يمُوتُوا في سـبيلِ اللـه قالُوا : يا قـومَنَا إنَّ النَّصرَ منْ عندِ اللهِ، ليسَ بالعَدَدِ ولا بالقوَّة ، وليسَ بقلَّةِ المحارِبينَ ولَا يكثْرتهم.

النصرُ بالإيمانِ، ونحنُ مؤمنونَ باللـه، فلا بدَّ أن ينصرَنَا الله، النصرُ بالصَّبـرِ، فاصبُرُوا، وعلى الله فليتوكَّلِ المؤمنُونَ.. إنَّ الله مع الذينَ اتَّقوا والَّذين هُم مُّحسنُونَ.

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

قَالتْ إيمانَ: وهَلِ انتصرَ ذلكَ الجيشُ القليلُ أمامَ الجيشِ الكبيرِ الذِي يزيدُ عنْه عشراَتِ المرَّاتِ.



قَالَ الوالدُ: نَعمْ، لقدِ انتصـرَ بقوَّةِ الإيمانِ والصَّبْرِ، لأنَّ الله يدَافعُ عن الَّذينَ آمَنُوا، ولا يتـرُكُهم وحـدَهُم في الميْدانِ، فـفِي كُلِّ زمَانٍ، ومـعَ كلِّ نبيٍّ، نجدُ فـئَةً قليلةً صـابِرةً تجاهدُ في سبيلِ الله بالنفسِ والمَالِ، وينصـرُهَا الله، لتكُونَ مثلاً أعْلَى للنَّاسِ بعدَ ذلكَ ، وقُدْوةً في الجـهادِ والتَّضـحيةِ. إلى أنْ جَـاءَ محمـدٌ ﷺ خَاتمًا للأنْبـياءِ والمرْسَلِين ، وبدأ جهـادَهُ في سبيل الله، وأرادَ الله أن يثَبتَ المؤْمـنينَ، فأوحى إلى نَبيِّه أن يحـرِّضَهمْ عَلَى القتال، وأعْلَمـهُ بأنهُ إنْ يكُن منهم عشْرونَ صابرُون يغلبُوا مـائتينِ، أي أنَّ الفردَ الواحدَ الصَّابَر قادرٌ – بعونِ الله– أن يهزِم عشْرةً من المشرِكينَ.

قَالَ أيمنُ: وَهَلْ كانَ المسْلِمُ يثبُتُ فِعْلاً أمَامَ عَشَرةٍ من المْشرِكينَ وَيَنْتصرُ عَلَيْهم؟

قَالَ الأبُ: لقـدْ حَاولَ المسْلمُـونَ ذَلك في أوَّلِ الأمْرِ وكانَ علَيَـهم أن يَثْبُـتُوا رَغْمَ ضعْفِهِمْ وقلَّة عَدَدِهم، لأنَّهُمْ إن لمْ يَثْبُتُوا ذَلكَ الثَّباتَ النَّادرَ لقضَى الكُفَّارُ على الإسْلامِ والمسْلمينَ مُنذُ البـدَايةِ، فلمَّـا كثُـرَ عددُ المسْلمينَ بعـدَ ذَلكَ خَفَّـفَ الله عنْهمْ فكانَ عَلَى الواحدِ منهُم أن يثْبُتَ أمَامَ اثنينِ فقَطْ منَ المشرِكينَ ، وهَذَا يُبيِّنُ لَنَا قُوَّة الصَّابِرِينَ، وكَيْفَ يحمِيهم الله ويَرْعَاهُمْ، ويَجْعَلَ النَّصْرَ حَليفَهُم في كُلِّ مَعْركةٍ يَدْخُلُونَها.

قَالـتْ إيمانُ: وَماذاَ كَـانتْ نتيـجةُ ذَلكَ الصَّـبرِ وهَذَا الثَّـباتِ؟ قَـالَ أبُوهَا: كانَ النَّـصْرُ العَظيمُ الَّذي فَـتَح الطَّريقَ أمَامَ المسْلمِينَ إلى انْتـصارَات أُخْـرى عَظيمـة، لقدْ قَتَلَ المـسْلمُونَ سَبْعِينَ مِنْ قَـادة الْمشركينَ وزُعَمَائِهم ، وأسَـرُوا سَبْعينَ آخرينَ، ومَعَ هَؤُلاءِ الأسْـرَى سَيكُون حديثُنا القَادِمُ إنْ شَاءَ الله.

* * *

وإلى اللقاء - يا أبنائي - في القصة التالية

رقم (٤٢) أسرى بدر... عتاب وفداء

أسئلة القصة

س١ : بين معاني هذه الكلمات: حسبك الله- حرض المؤمنين- لا يفقهون؟

س٢ : هل كلمة الصبر تحتاج إلى شرح كبير.. اذكر معاني الصبر التي عرفتها من القصة؟

س٣: هناك عدد من الأنبياء صبروا على أذى أقوامهم وأطلق عليهم اسماً كريماً هل تعرف هذا الاسم ومن هم هؤلاء الأنبياء ومن منهم الذي يضرب به المثل في الصبر؟

س٤ : نزلت الآيات تحرض المؤمنين على القتال وحرمت على المسلم أن يفر من القتال حتى ولو كان أمامه عشرة من الكافرين.. متى كان ذلك وهل هذا الحكم مستمر حتى الآن؟

س٥ : آيات الصبر هذه لها ما يقابلها في قصة سابقة هل تذكر هذه القصة وما حدث فيها؟

درس النحو

الأفعال الخمسة

س١ : خاطب بالعبارة الآتية المفرد والمثنى والجمع بنوعيهما (أي الذكور والإناث) أنت لم تشاهد الأهرام.

س٢ : أشر بالعبارة الآتية إلى المفرد والمثنى والجمع بنوعيهما وغير ما يلزم: هذا الذي يصدق في قوله.

ملحوظة:

كلمة (هذا) اسم اشارة إلى المفرد المذكر والمطلوب من السؤال تغييرها إلى ما هو مطلوب وتغيير ما يلزم في الجملة تبعاً لها.

اسما الإشارة: هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء.

س٣: خاطب بالعبارة الآتية المفردة والمثنى والجمع بنوعيهما: أنت تتقدم في اللغة العربية.

س٤ : أخبر عن الجملة الآتية عن المثنى والجمع بنوعيهما: هو لم يهمل في الامتحان ولذلك نجح بامتياز.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث